

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾  
وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ  
خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزخرف: 57 - 58]

### ✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهُمَا:

ذَكَرُ افْتِرَاءِ  
الْمُشْرِكِينَ عَلَى  
عِيسَى وَدَحْضِهِ  
كَمَا دَحَضَتْ  
السُّورَةُ غَيْرُهُ مِنَ  
الْفَرَى

بعد أن ذكرت السُّورَةُ الكريمة أربعا من مفتريات المشركين، وردت عليهم ردودا مُفحمة، وهي أباطيلُ تتلخص في: أنهم جعلوا لله من عبادِه جزءا، وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرَّحْمَنِ إناثا، وقالوا: لو شاء الرَّحْمَنُ؛ ما عبدنا الأصنام، وقالوا: لولا أنزلَ هذا القرآنُ على رجلٍ من القريتين عظيم؛ ناسب أن تذكر هاتان الآيتان وما بعدهما فريتهم الخامسة، الَّتِي تتعلَّقُ بِنَبِيِّ اللَّهِ عِيسَى - على نبينا وعليه أفضلُ الصَّلَاةِ وأتمُّ السَّلَامِ - وتدحضها كما دحضت ما سبقها<sup>(1)</sup>.

### ✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿يَصِدُّونَ﴾: الصُّدُود: الإعراض، وقد صدَّ عنه، يصدُّ صدًّا وصدودًا، قال تعالى: ﴿يَصِدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء: 61]، وصدَّه عن الأمر صدًّا: صرَّفه، ومنعه، قال تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [النمل: 43]، أي: صدَّ بِلَقِيْسَ عن الإيمان العادة الَّتِي كانت عليها من عبادة الشَّمْسِ، وصدَّ يصدُّ ويصدُّ، أي: ضجَّ، قال تعالى: ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾<sup>(2)</sup>، بمعنى: يَضْجُونَ أو يُعْرِضُونَ<sup>(3)</sup>.

(2) ﴿جَدَلًا﴾: (جدل) أصلٌ واحدٌ، وهو: استِحْكامُ الشَّيْءِ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 639 / 27، وحجازي، التفسير الواضح: 401 / 3.

(2) الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز: 390 / 3.

(3) الألويسي، روح المعاني: 51 / 8.

في استرسالٍ يكونُ فيه، وامتدادِ الخصومةِ ومراجعة الكلام<sup>(1)</sup>، والجدال: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله من: جدَّلتُ الحبل، أي: أحكمت فتله، ومنه: الجدِيل، وجدلت البناء: أحكمته، ومنه: الجدال، فكأنَّ المتجادلين يفتل كلُّ واحد الآخر عن رأيه، وقيل: الأصل في الجدال: الصِّراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة، وهي الأرض الصُّلبة، قال تعالى: ﴿وَجَدَلْتُهُمْ بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125]، وقال أيضاً: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾<sup>(2)</sup>.

(3) ﴿خَصِمُونَ﴾: (خصم) أصلان: أحدهما المنازعة، ومنه: الخصمُ الذي يُخاصِمُ، والذكرُ والأنثى فيه سواءٌ، والخصامُ: مَصْدَرُ خاصَمْتُهُ مُخاصِمةً وخصاماً<sup>(3)</sup>، وأصل المُخاصِمة: أن يتعلَّق كلُّ واحد بخصم الآخر، أي: جانبه، وأن يجذب كلُّ واحد خصم الجوارق من جانب، والجمعُ خصومٌ وأخصامٌ، قال تعالى: ﴿خَصَمَانِ اِخْتَصِمَا﴾ [الحج: 19]، وقال: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ [آق: 28] والخصيمُ: كثير الخصام والمخاصمة، والخصيمُ: المختصُّ بالخصومة، قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾<sup>(4)</sup>.

### ❖ الْمَغْنَى الْإِجْمَالِي:

تُبَيِّنُ الآيَةُ الْأُولَى فَعَلَ الْمُشْرِكِينَ حِينَ ضَرَبَ ابْنُ الزُّبَيْرِ الْمَثَلَ بِعِيسَى ﷺ، مُحْتَجًّا بِعِبَادَةِ النَّصَارَى لَهُ، فَإِنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: 98]؛ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ، وَقَالُوا: شَتَمَ مُحَمَّدٌ آلِهَتَنَا، فَجَاءَهُمْ ابْنُ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: شَتَمَ مُحَمَّدٌ آلِهَتَنَا، قَالَ: وَمَا قَالَ، قَالُوا: قَالَ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ

صُدُودٌ وَضَجِيجٌ  
قَائِمٌ عَلَى  
الْخُصُومَةِ  
وَالْجِدَالِ، لَا مِنْ  
أَجْلِ الْوُصُولِ  
إِلَى الْحَقِّ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جدل).

(2) الراغب، مفردات القرآن: (جدل).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خصم).

(4) الراغب، مفردات القرآن: (خصم).

**أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿٩٨﴾** [الأنبياء: 98] قال: ادعوه لي، فدعا محمدًا صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وسلَّم، فقال ابن الزُّبَيْرِ: يا محمد هذا شيء لآلهتنا خاصّة أم لكل ما عبد من دون الله؟ قال: "بل لكل ما عبد من دون الله ﷻ"، قال: فقال خصمتك وربّ الكعبة، يا محمد ألسنت تزعم أنّ عيسى عبد صالح، وعزيرًا عبد صالح، والملائكة عباد صالحون، قال: "بلى"، قال: فهذه النصارى تعبد عيسى، وهذه اليهود تعبد عزيرًا، وهذه بنو مليح تعبد الملائكة، قال: فضجّ أهل مكّة، فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنبياء: 101]، قال: ونزلت: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُون﴾؛ إذ فاجأ كفّار قريش رسول الله بالصّياح والضّجيج والضّحك؛ فرحًا بما قاله ابن الزُّبَيْرِ، وظنًّا منهم أنّه قد انتصر على رسول الله في الخصومة والمجادلة<sup>(1)</sup>، وتبيّن الآية الثّانية حجّتهم التي بنوا عليها باطلهم، وهي أنّ رسول الله أخبرهم بأنّ عيسى بن مريم رسول من رسل الله، وأنّه خير من آلهتهم، فإن كان في النّار يوم القيامة؛ فقد رضوا بأن يكونوا معه، والواقع أنّهم ما قالوا ذلك من أجل الوصول إلى الحقّ، وإنّما قالوه من أجل الجدل والغلبة في القول؛ لأنّهم قوم دَرَجوا على الخصومة واللّجاج في الباطل، حتّى صاروا كالمجبولين عليه<sup>(2)</sup>.

### ❁ الإيضاح اللّغويّ والبلدغيّ:

#### نوع الواو في أوّل الآية:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ﴾ عاطفة، عطفت قصّة من أفاصيل كفرهم وعنادهم على ما مضى من حكاية أفاويلهم<sup>(3)</sup>؛ لبيان فريّة جديدة ونوع آخر من لجاج مشركي مكّة، وإمعانهم في

بيان فريّة جديدة  
ونوع آخر من  
لجاج مشركي  
مكّة وجدالهم  
لرسول الله

(1) الوادعي، الصحيح للسند من أسباب التّزول، ص: 135.

(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 260، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 13/ 91، و92.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 236.

المكابرة<sup>(1)</sup> والجدالِ القاصِدِ إلى إحراج رسولِ الله ﷺ ومشاقِّته وإيسافِه، كما كان يفعلُ مَنْ سبقوهم مع رسلِ الله تعالى وأنبيائه.

### دلالةُ التَّعبيرِ بـ (لَا):

(لَا) في قوله: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ﴾ هي الحينيَّةُ الْمُتَضَمِّنَةُ معنى الشرط، والتي تجمع بين جملتين، ترتبطُ الثانيةُ منهما بالأولى ارتباطاً المُسَبَّبِ بالسَّبَبِ، وهي تفيِدُ وجودَ جوابها عند وجود شرطها أو توقُّيَّته<sup>(2)</sup>، وفي التَّعبيرِ بها نوعٌ من الإثارة والتَّشويق المُضَيِّ إلى التَّعجيب والدَّهشة من فعل مشركي مَكَّة عندما ضَرَبَ ابنُ الزُّبَيْرِ قبل إسلامه المثلَ بعيسى بن مريم، على نبيِّنا وعليه أفضل الصَّلَاة والسَّلَام.

### وجهُ التَّعبيرِ بـ ﴿أَبْنُ مَرْيَمَ﴾ وتوجيهه للتَّشابه اللُّفْظِي:

هذا الموضعُ أحدُ موضعين تمَّ التَّعبيرُ فيهما عن المسيح ﷺ بكنيته، وهي ﴿أَبْنُ مَرْيَمَ﴾، حيث ورد أيضاً في سورة (المؤمنون) قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا أَبْنَ مَرْيَمَ وَامَّةً ءَايَةً وَءَاوَيْنَهُمَا إِلَى رُبُوعٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۝٥٠﴾ [المؤمنون: 50]، أمَّا بقيَّةُ المواضع؛ فقد يُعبَّرُ عنه فيها باسمه: (عيسى)، أو لقبه: (المسيح) منفردين أو مجتمعين، متبوعاً بـ (ابْنُ مَرْيَمَ) أو بدونه، ومن الملحوظ أنَّ التَّعبيرَ عنه بالمسيح يأتي في سياق النِّثاء، أو تصحيح العقيدة، ولا يأتي في سياق إيتاء البيِّنات أو الرِّسالة، والتَّعبيرُ عنه بعيسى يأتي في سياق التَّكليف، وفي سياق المدح والنِّثاء، وفي سياق النِّداء؛ لكونه عامّاً وعَلَمًا عليه، أمَّا التَّعبيرُ عنه بـ (ابْنُ مَرْيَمَ)؛ فلم يأتِ في مقام التَّكليف، ولا في مقام النِّثاء أو النِّداء، وإنَّما ورد في مقام بيان وجه الإعجاز في خلقه، كما في سورة (المؤمنون)، أو في مقام ضرب المثل به، كما في سورة الزُّخْرَفِ<sup>(3)</sup>.

التَّشويقُ المُضَيِّ  
إلى التَّعجيب  
من صنيع  
المُشْرِكِينَ

عادةُ القرآنِ  
التَّعبيرُ بعيسى  
في مقام  
التَّكليف،  
وبالمسيح في  
مقام النِّثاء،  
وبابن مريم في  
مقام ضرب المثل

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 98 / 9.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 236 / 25.

(3) السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص: 916.

ردود فعل  
للمشركين دائماً  
على التقيض  
مما يجب أن  
تكون

حقيق يقوم  
النبي نصرته  
وطاعته

جعل المشركون  
المثل للضروب  
سبباً للصّد  
والإعراض

### دلالة التعبير بـ ﴿إِذَا﴾ الفجائية:

عبر النظم في جواب (لَمَّا) بـ ﴿إِذَا﴾ الفجائية؛ للدلالة على أن ما قام به المشركون عندما ضرب المثل بعيسى كان أمراً مفاجئاً، أثار عجب رسول الله ﷺ ودهشته؛ لأنه لا يتوقع حصوله منهم، وما ذلك إلا لحسن ظنه فيهم، وأمله في أن يكون ما تلاه عليهم من وحي الله - لا سيما قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: 98] - رادعاً لهم، مزلزلاً لمشاعرهم، لكنهم كانوا على العكس مما يظن، ويرجو، وعلى النقيض مما يجب أن يكون.

### نكتة التعبير بـ (قَوْمٌ) مضافاً إلى ضمير الرسول:

عبر البيان القرآني عن الكفار بقوله: ﴿قَوْمُكَ﴾؛ للإشارة إلى ما منحهم الله تعالى من نعم كثيرة، تأتي على رأسها القدرة التي تُعينهم على القيام بما يحاولونه<sup>(1)</sup>، وأثر التعبير به مضافاً إلى ضمير الرسول لزيادة التعجب منهم، والإنكار عليهم، كيف فرحوا من تغلب ابن الزبيري على النبي ﷺ بزعمهم في أمر عيسى عليه السلام، أي: مع أنهم قومك، وليسوا قوم عيسى ولا أتباع دينه، فكان فرحهم ظلماً شديداً من ذوي القربى<sup>(2)</sup>.

### دلالة التعبير بحرف الجر في: ﴿مِنْهُ﴾:

(مِنْ) في قوله تعالى: ﴿مِنْهُ﴾ ابتدائية، وليست لتعديدية ﴿يَصِدُّونَ﴾ إلى ما في معنى المفعول؛ لأن الفعل إنما يتعدى إليه بحرف (عن)، ولكنها متعلقة بـ ﴿يَصِدُّونَ﴾ تعلقاً على معنى الابتداء، أي: يَصِدُّونَ صدّاً ناشئاً منه، أي: مِنَ المثل، أي: ضربَ لهم مثل، فجعلوا ذلك المثل سبباً للصّد<sup>(3)</sup>.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 455 / 17.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 238 / 25.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 239 / 25.

## توجيه القراءات المتواترة في: ﴿يَصِدُّونَ﴾:

قرأ نافِعُ وابنُ عامرٍ والكسائيُّ، وأبو جعفر وخلف: ﴿يَصِدُّونَ﴾ بضمِّ الصاد<sup>(1)</sup>، من الصُّدود، إمَّا بمعنى: الإعراض، والمعنى: من أجل هذا المثل يَصِدُّونَ عن الحقِّ، ويُعرضون عنه<sup>(2)</sup>، والمُعَرَّضُ عنه محذوف؛ لظهوره من المقام، أي: يعرضون عن القرآن؛ لأنَّهم أوهموا بجدالهم أنَّ في القرآن تناقضًا، وإمَّا على أنَّ الضَّمَّ لغةٌ في مضارع: (صَدَّ) بمعنى: ضَجَّ، وقرأ ابنُ كثير وأبو عمرو وحمزة وعاصم ويعقوبُ ﴿يَصِدُّونَ﴾ بكسر الصاد، وهو الصَّدُّ بمعنى الضَّجيج والصَّخب والمعنى: إذا قريشُ قومُك يصخبون، ويضجُّون من احتجاج ابن الزُّبَيْرِ بالمثل بعيسى بن مريم ﷺ<sup>(3)</sup>، ولا تعارض بين القراءتين بل كلُّ قراءة منهما تكمل القراءة الأخرى، فإنَّهم عند ضرب المثل بعيسى ﷺ ضجُّوا، وصخبوا، ثمَّ أعرضوا عنه.

## دلالة التعبير بفعل الصَّدِّ مضارعًا:

عبَّرَ النِّظْمُ الكريمُ بفعل الصَّدِّ مضارعًا، فقال: ﴿يَصِدُّونَ﴾؛ لما يمتازُ به المضارعُ من استحضار الحالة الماضية كأنَّها حاضرةٌ ماثلةٌ يبدو فيها الكفارُ فرحين متهلِّلين بما قاله ابنُ الزُّبَيْرِ، فيسهمُ استحضارُ هذا المشهد في التَّشْنيعِ بهم، وتقبيحِ صنيعهم، كما يثير المتلقِّي إلى ترقُّب ردِّ القرآن الكريم على جدالهم، ودحضه لافتراءهم، حتى إذا ورد؛ ثبتَ في الأذهان، واستقرَّ في العقول.

## دلالة الواو في: ﴿وَقَالُوا ءَأَلْهَتُنَا خَيْرٌ﴾:

الواو في قوله: ﴿وَقَالُوا ءَأَلْهَتُنَا خَيْرٌ﴾؛ لعطف ما بعدها على جملة: ﴿يَصِدُّونَ﴾، وهي تدلُّ على أنَّ القومَ لم يكتفوا بالصَّدِّ

حال الكفار مع  
الرسول دائماً  
الصد والتشكيك  
في كل ما يخبر  
به

استحضار  
الشهد يثير  
المتلقي إلى  
ترقب الرد على  
افتراءات الكفار

الكفار لا  
يكتفون بالصَّدِّ  
والإعراض وإنما  
يضيفون إليه  
القول بما يغري  
الشفهاء

(1) ابن الجزي، النشر في القراءات العشر: 369 / 2.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 639 / 27.

(3) ابن الجزي، النشر في القراءات العشر: 369 / 2، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 238 / 25.

والإعراض، وإنما أضافوا إليه هذا الكلام قصدًا إلى إحراج النَّبِيِّ ﷺ والتَّشْكِيكِ فيما يَقُولُهُ، و"تمهيدًا لما بَنَوْا عليه من الباطل المُمَوِّه بما يَغْتَرُّ به السُّفَهَاءُ"<sup>(1)</sup>.

### دلالة التعبير بفعل القول ماضيًا مُسندًا إلى ضمير الجماعة:

تعبير القرآن بفعل القول الموضوع لإبراز ما يُتَصَوَّرُ في النَّفْسِ في جملة: ﴿وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ﴾، فيه دلالة على اعتقاد الكُفَّارِ أَنَّهُمْ على حَقٍّ في عبادة الأصنام، وأنَّ ما جاء به النَّبِيُّ هو الباطل، ومِنْ ثَمَّ كان القول والتَّشْكِيكِ وضربُ هذا المثل وغيره وسائلهم لإثبات ذلك، وفي التعبير به ماضيًا مُسندًا إلى ضمير الجماعة دلالة على تحقُّق صدوره منهم جميعًا<sup>(2)</sup>، من غير شكٍّ أو افتراء؛ لأنَّهم قالوه بلسانهم، أو وافقوا مَنْ قاله، وأعجبوا بكلامه.

### الغرض من الاستفهام في: ﴿ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾:

قوله: ﴿ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ جملة في محل نصب مقول فعل القول المسند إلى ضمير الكُفَّارِ، والهمزة فيها للاستفهام التَّقريري؛ للعلم بأنَّ النَّبِيَّ يُفَضِّلُ عيسى على آلهتهم، أي: فقد لزمك أنَّك جعلت أهلًا للنَّار مَنْ كُنتَ تفضُّله، فأمرُ آلهتنا هينٌ<sup>(3)</sup>، وقيل: إنَّ الاستفهام مقصود به الإفحام، وهو يتضمَّن أنَّ آلهتهم خيرٌ من نبيِّ الله عيسى ﷺ؛ لأنَّهم قالوا: إنَّ النَّصارى يعبدون آدميًّا، أمَّا نحن؛ فإنَّا نعبد الملائكة، فهم يعتقدون أنَّ آلهتهم خيرٌ، ثمَّ عَنَّ لهم أن يستفهموا على سبيل التَّنَزُّلِ مِنَ الخبر إلى الاستفهام<sup>(4)</sup>.

### مرجع الضمير ﴿هُوَ﴾ في: ﴿ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾:

سبقت الإشارة إلى أنَّ جملة: ﴿ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ هي مقولة

الجدال  
والتَّشْكِيكِ من  
وسائل المشركين  
لإثبات أَنَّهُمْ على  
حقٍّ

فَهُمُ المشركين  
الخاطئ لا يغير  
الحقائق

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 51/8.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 239/25.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 239/25.

(4) الزمخشري، الكشاف: 260/4، وأبو حيان، البحر المحيط: 385/9.

قصْد الكفّار  
تفضيل آلهم  
والسُّخريّة من  
رسول الله

الكفّار؛ تأييداً لابن الزُّبَيْر في كلامه عن المسيح، والضَّمير **﴿هُوَ﴾** فيها يمكن أن يرجع إلى عيسى عليه السلام؛ إذ قيل: إِنَّ الكفّار لما سمعوا قوله تعالى: **﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾** [آل عمران: 59]؛ قالوا: نحن أهدي من النَّصارى، لأنَّهم عبدوا آدميًّا، ونحن نعبد الملائكة، فنزلت، وقوله: **﴿عَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾** على هذا القول: تفضيل لآلهتهم على عيسى، وقيل: إِنَّ الضَّمير يرجع إلى الرَّسول صلى الله عليه وآله؛ إذ روي أَنَّهُ لما نزلت: **﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾** [آل عمران: 59]؛ قالوا: ما يريد محمَّد بهذا إلا أن نعبد، وأنَّه يستأهل أن يُعبد وإن كان بشراً، كما عبدت النَّصارى المسيح - وهو بشر - وغرَضُهم بالموازنة بينه وبين آلهم السُّخريّة والاستهزاء به<sup>(1)</sup>.

#### سُرْفَصِل: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ عمَّا قبلها:

جاءت جملة: **﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾** مفصولة عمَّا قبلها لشبه كمال الاتِّصال، الَّذي تُجيب فيه الجملة الثَّانية عن سؤال آثاره الكلام السَّابِق في نفس المتلقِّي عن السَّبب في ضرب الكفّار المثل بعيسى بن مريم لرسول الله صلى الله عليه وآله، فجاءت جملة: **﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾**؛ لتُبَيِّن أنَّ غرضهم من ضربه هو إثارة الجدل واللَّجاج في الباطل، ومِنْ ثَمَّ فُصِلت عمَّا قبلها، كما يُفصل الجواب عن السؤال.

#### وجه التَّعبير بـ ﴿مَا﴾ أداة للنَّفي:

آثر النِّظْم الكريم النَّفي بـ ﴿مَا﴾ في جملة: **﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾**؛ لأنَّ من خصائصها نفي الجملة الاسميَّة والفعلية، كما أَنَّها أَكْدُ في النَّفي من (ليس)، وأوسع استعمالاً منها؛ لأنَّ (ليس) مختصَّة بنفي الجملة الاسميَّة فحسب، ولأنَّ ﴿مَا﴾ هنا تفيد بمعناها ومبناها المختوم بألف المدِّ نفي وجود أيِّ غرضٍ من ضرب الكفّار

توضيح السَّبب  
الَّذي حَمَلَ  
الكفّار على  
ضرب المثل

ليس للكفّار  
من وراء ضرب  
الأمثال أيُّ غرضٍ  
سوى الجدال  
والخصومة

(1) الرمخشري، الكشف: 4/ 260.

المثل بعيسى بن مريم سوى الجدول ومحاولة المحاجة والإفحام نفياً  
واسعاً لا حدود له.

### مرجع الضمائر في: ﴿ضَرْبُوهُ﴾:

ضميرُ الرَّفْع (الواو) في ﴿ضَرْبُوهُ﴾ عائد إلى ابن الزُّبَيْرِ وقومِه  
الَّذِينَ أُعْجِبُوا بِكَلَامِهِ، وقالوا بموجبه، وضمير الغائب (الهاء)  
المنصوب يجوز أن يعود إلى المثل في قوله: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ  
مَثَلًا﴾، والمعنى: ما ضربوا لك ذلك المثل إلا جدلاً منهم، أي:  
محاجة وإفحاماً لك، وليسوا بمعتقدين هونَ أمرِ آلهتهم عندهم،  
ولا بطالبيين الميَّز بين الحقِّ والباطل، فإنَّهم لا يعتقدون أنَّ عيسى  
خيرٌ من آلهتهم، ولكنَّهم أرادوا مجازاة النَّبِيِّ في قوله: لِيُفْضَوْا إِلَى  
إلزامه بما أرادوه من المناقضة، ويجوز أن يكون الضمير المنصوب  
عائداً إلى مصدر مأخوذ من فعل: ﴿وَقَالُوا﴾، أي: ما ضربوا ذلك  
القول، أي: ما قالوه إلا جدلاً، فالضرب بمعنى الإيجاد<sup>(1)</sup>.

### دلالة اللام في: ﴿لَكَ﴾، و مرجع الضمير فيه:

اللام في قوله: ﴿لَكَ﴾ حرفٌ جرٌّ يفيد الاختصاص، وضميرُ  
الخطاب المجرور فيه يعود إلى النَّبِيِّ ﷺ، وفي التعبير بهما دلالةٌ  
على أنَّ الحديث عن عيسى بن مريم ومقارنته بآلهتهم تمَّ استدعاؤه  
وإثارته من أجل مجادلة الرَّسُولِ ﷺ ومحاجته وإحراجِه، بإيهام أنَّ  
فيما جاء به نوعاً من التناقض وعدم الإحكام، بقصد صرف النَّاسِ  
عن اتِّباعه والإيمان به، كما سبق بيانه.

### موقع ﴿جَدَلًا﴾ الإعرابي ودلالته:

قوله: ﴿جَدَلًا﴾ يجوز أن ينتصبَ على المفعول لأجله، والمعنى:  
ما ضربوه لشيءٍ إلا للجدل، ويجوز أن يُنصبَ على الحال بتأويله

قصْدُ الكُفَّارِ من  
ضرب الأمثال  
مغالطة الرَّسُولِ  
وصرفه عن  
دعوته

حالُ الكُفَّارِ  
هو القصْدُ إلى  
الجدالِ، وليس  
الرَّغبة في الإيمان

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 239 / 25.

بمجادلين، أي: ما ضربوه في حال من أحوالهم إلا في حال أنهم مجادلون لا مؤمنون بذلك<sup>(1)</sup>.

### بلادة القصر بالنفي والاستثناء:

في جملة: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ قَصَرَ النَّظْمُ الكريمُ ضَرْبَ الْكُفَّارِ المِثْلَ بَعِيسَى ﷺ عَلَى كونه جَدَلًا، قَصَرَ موصوفٍ عَلَى صفةٍ قَصْرًا حَقِيقِيًّا حَقِيقِيًّا؛ طَرِيقُهُ النَّفْيِ وَالِاسْتِثْنَاءِ، بِغَرَضِ التَّأْكِيدِ الْجَازِمِ وَالنَّفْيِ الْقَاطِعِ لِأَن يَكُونَ لِلْمُشْرِكِينَ غَرَضٌ مِنْ ضَرْبِ هَذَا المِثْلِ سِوَى اللَّجَاجِ وَالْجِدَالِ بِالْبَاطِلِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ ثَمَّةَ اِحْتِمَالٌ لِأَن يَرِيدُوا مِنْ وَرَائِهِ قَوْلَ الْحَقِّ أَوْ بَيَانَ الصَّوَابِ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ هُوَ الْحَقُّ، وَأَنَّ مَا يَقُولُونَهُ، وَيَجَادِلُونَ فِيهِ هُوَ الْبَاطِلُ، وَمِنْ ثَمَّ قَصَرَهُ النَّظْمُ عَلَى الْجَدَلِ بَعْدَ أَنْ نَفَى عَنْهُ أَيَّ صِفَةٍ أُخْرَى نَفْيًا قَاطِعًا؛ "لِأَنَّ الْكَلَامَ مَا كَانَ إِلَّا فِي أَصْنَافِهِمْ، وَلِأَنَّ الْخُصُوصَ فِي كَلَامِهِمْ شَائِعٌ، وَلِأَنَّهُ عَقَبَ بِمَا يَبَيِّنُ الْخُصُوصَ، وَيَزِيلُ اللَّبْسَ عَلَى تَقْدِيرِ تَسْلِيمِهِ، فَلَمْ يَقْتَدُوا قَطُّ بِمَا أَلْزَمُوا بِهِ أَنَّهُ لَا زِمَ"<sup>(2)</sup>.

### سَرَفُ فِصْلٍ: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ عَمَّا قَبْلُهَا:

جاءت جملة: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ مَفْصُولَةً عَمَّا قَبْلُهَا لِكَمَالِ الْإِتِّصَالِ، الَّذِي تَنْزِلُ فِيهِ الْجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ مِنَ الْأُولَى مَنْزِلَةَ التَّابِعِ مِنَ مَتْبُوعِهِ، وَمِنْ ثَمَّ تَفْصِيلُهَا عَنْهَا، كَمَا يُفْصَلُ التَّابِعُ عَنِ الْمَتْبُوعِ، فَقَوْلُهُ: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ يَعِدُّ تَقْوِيَةً وَتَأْكِيدًا "لَمَّا قَبْلَهُ مِنْ كَوْنِهِمْ قَالُوا ذَلِكَ لِأَجْلِ الْجِدَالِ بِالْبَاطِلِ، لَا لِطَلَبِ الْحَقِّ، وَيُعِدُّ كَذَلِكَ إِضْرَابًا عَنْ مَزَاجِهِمْ وَعَنْ مَجَارَاتِهِمْ فِي خُصُومَتِهِمْ"<sup>(3)</sup>.

### معنى ﴿بَلْ﴾ ودلالة التعبير بها:

﴿بَلْ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ حَرْفٌ إِضْرَابٌ عَبَّرَ بِهِ النَّظْمُ

التَّأْكِيدُ الْجَازِمُ  
وَالنَّفْيُ الْقَاطِعُ  
لِأَن يَكُونَ  
لِلْمُشْرِكِينَ  
غَرَضٌ مِنْ ضَرْبِ  
الْمِثْلِ سِوَى  
الْجِدَالِ

تَأْكِيدٌ أَنَّ الْكُفَّارَ  
لَا يُضْرِبُونَ  
الْأَمْثَالَ إِلَّا جَدَلًا  
وُخُوصَةً

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 240 / 25.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 456 / 17.

(3) طنطاوي، التفسير الوسيط: 92 / 13.

الانتقال إلى  
وصف الكفار  
الثابت الذي لا  
يتغير

الكفار الذين  
ضربوا المثل  
والذين ضجّوا  
بالصياح  
والضحك يوم  
خصمون

الكفار لا  
يوظّفون  
قدرتهم إلا في  
القيام للباطل  
والخصومة مع  
الحق

توجيه الرسول  
إلى الإعراض  
عن الكافرين  
وعدم الاكتراث  
بأقوالهم

لينتقل إلى بيان وصف الكفار الثابت الدائم الذي لا ينفكّون عنه في كل أحوالهم، حتّى صار كالجبلّة لهم، وهو أنّهم "قومٌ يحبّون الخصام، ويظهرون من الحجج ما لا يعتقدونه؛ تمويهاً على عامّتهم" (1).

### دلالة التعبير بالضمير ﴿هُمْ﴾:

عبّر النظم عن الكفار بالضمير في قوله: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ جرياً على الأصل في التعبير عن الاسم الظاهر الذي سبق ذكره بالضمير، ولما يفيد البيان بالضمير هنا من استحضار المسند إليه وتعيينه تعييناً يحول دون صرف الحديث عنه إلى غيره، والمعنى: بل قومك الذين ضربوا هذا المثل والذين ضجّوا بالصياح والضحك عند ضربه قومٌ خصمون.

### دلالة تكرار التعبير بـ: ﴿قَوْمٌ﴾ منكرة:

كان من الممكن أن يُقال: (بل هم خصمون)؛ اكتفاءً بالضمير العائد إلى لفظ ﴿قَوْمُكَ﴾ السابق ذكره في جملة: ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾، لكنّ البيان أعاد التعبير به قائلاً: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ﴾؛ للتأكيد على ما منحهم الله من القوّة التي تجعلهم قادرين على القيام بما يحاولونه (2)، لكنّهم لا يستعملونها إلا في القيام للباطل والخصومة مع الحق، وتكثير اللفظة لتحقيرهم أو لتعظيم خصومتهم للنبي ﷺ ولدعوته.

### دلالة التعبير بـ: ﴿خَصِمُونَ﴾:

قوله تعالى: ﴿خَصِمُونَ﴾ صفة لـ ﴿قَوْمٌ﴾، عبّر به النظم الكريم بصيغة المبالغة؛ ليدلّ على أنّهم مبالغون في الخصومة، شديدي التمسك باللجاج وجدال الرسول مع وجود الحقّ معه؛ لإظهار أنّه ليس على حقّ (3)، وأوثر التعبير به اسماً لما يمتاز به من إفادة الثبوت

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 240 / 25، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 640 / 27.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 456 / 17.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 640 / 27، والبقاعي، نظم الدرر: 456 / 17، وابن عاشور، التحرير

والتنوير: 240 / 25.

والدَّوام الدَّالُّ على أَنَّ هؤلاء القوم صاروا كالمجبولين على اللِّجاج والخصومة من كثرة ما يقومون بها، وفيه توجيه للرَّسول بالإعراض عنهم وعدم الاكتراث بأقوالهم، والمعنى: ذرهم - أيها الرَّسول الكريم - في باطلهم يعمهون، فإنَّهم قومٌ مجبولون على الخصومة في الحقِّ، واللِّجاج في الباطل<sup>(1)</sup>.

### ❖ الفُروقُ المُعْجِمة:

#### الصَّدُّ والإعراض:

الصَّدُّ هو: الإعراض والمنع عن قصد شيء مخصوص، قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الأنفال: 34]، أي: يمنعون النَّاسَ عَنْ قَصْدِهِ<sup>(2)</sup>، والإعراض: هو الانحراف بالوجه عن الشيء، واستقباله بالعرَض<sup>(3)</sup>، كناية عن عدم الاهتمام به، والتَّعبير عن موقف المشركين من ضرب المثل بعيسى بلفظ ﴿يَصُدُّونَ﴾ الدَّالُّ على الإعراض والمنع هو الأنسب؛ لأنَّهم لم يكتفوا بالإعراض، وإنَّما قاموا بالضَّحك والضَّجيج؛ إعجابًا بفعل ابن الزُّبَيْر، ولصرف النَّاسَ عَنْ اتِّبَاعِ الرَّسُولِ والإيمان به، وهو ما لا يقوم بتصويره فعل الإعراض؛ لو جاء التَّعبير به.

#### الخصومة والمجادلة:

الخصومة تعني: المنازعة، والذِّكْرُ والأنثى فيه سَوَاءٌ، وأصل المُخَاصَمة: أن يتعلَّق كُلُّ واحدٍ بخُصْمِ الآخر، أي: جانبه، وأن يجذب كُلُّ واحدٍ خُصْمَ الجِوَالِقِ من جانب - كما سبق بيانه - أمَّا الجدال: فهو أن تقتل الخصم عن مذهبه بحجَّة أو شُبْهة أو شغب، ويفتلك عن مذهبك بمثل ذلك، إلَّا أنَّه يمكن أن يُستعمل في المناظرة

الصَّدُّ إعراضٌ  
ومنعٌ، أمَّا  
الإعراضُ؛ فهو  
ميلٌ إلى الجانب  
وتلقُّ بالعرض

الخصومة  
تعني المنازعة،  
والجدال قد  
يكون لإثبات  
الحقِّ

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 92/13.

(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 114.

(3) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (عرض).

لإثبات الحقِّ وإبطال الباطل، كما قال تعالى: ﴿يَنُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَلَنَا﴾ [هود: 32]، وفي هذا دليل على أنَّ الجدال لإقامة الحجَّة حسنٌ، وأنَّه تقوم به الحجَّة، ولولا ذلك لم يجادل نوح ﷺ<sup>(1)</sup>، ولما كان هدف مشركي مَكَّة وقصدُهم إخراج رسول الله وصرْف النَّاس عن الإيمان به، والعمل على إخراجِه وإيسافِه؛ كان التَّعبيرُ بقوله: ﴿حَصْمُونَ﴾ أدلَّ على حالهم، وأنسبَ لواقعهم، من لفظ الجدَل، الَّذي يمكن أن يوهم أنَّهم على شيء من الحقِّ، ينافحون عنه.

(1) العسكري، الوجوه والنظائر، ص: 167.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والخمسون،  
سورة الزُخْرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثية الآية 15  
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

\*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة  
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م  
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي  
الطبعة الأولى: 2026م

\*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:  
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م.ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُخْرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثية الآية 15  
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-  
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2026.  
مج. 54، 802 صفحة؛ 24x17 سم.  
ردمك : 978-9948-655-02-2  
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.  
مج. 54 : المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُخْرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثية الآية 15.  
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-  
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).  
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-655-02-2

\*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-8769435 بتاريخ 2026/01/07م،  
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

\*

الفئة العمرية : E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري  
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

\*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"